[خطبة كسوف الشمس]

*فضيلة الشيخ العلامة
أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

[ليوم الثلاثاء 29 ربيع الأول 1444 هـ]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد:

أيها الناس! إنّ بلوى العباد هي من أنفسهم؛ فكل ما يُصابون به ويعاقبون به؛ بسبب ذنوبهم، قال تعالى : { وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ } [سُورَةُ الشُّورَىٰ: ٣٠] ولو أخذ الله العباد بذنوبهم لهلكوا. قال جل وعلا : { وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا } [سُورَةُ فَاطِرٖ: ٤٥] وإنّ البلاء النازل بالأمة له علاج، وله ومنه وقايات قد أبانها الله عز وجل في كتابه، وهي التوبة، وهو الاستغفار، وهو الإقلاع عن الذنوب، وهو عدم المجاهرة بالمعاصي، فالذنوب والمعاصي تحصل من الإنسان بين مستقِل ومُستكثر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ ". مسلم [2749 (11)] أي الإنسان تحصل منه هذه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم كما في

الحديث القدسي حديث أبي ذر قال الله عز وجل : يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. مسلم [55] فأبان الذنب وأبان علاجه والوقاية منه ومن أضراره، والسلامة من تبعاته، وإنّ أشد ما يقع فيه الإنسان هي المجاهرة، المجاهرة بالمعاصي أشد ما يُصاب به في الدنيا والآخرة، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ ". البخاري [6069] هكذا بالمجاهرين، الحديث، وإن من المجاهرة أن يبيت يستره ربه ثم يصبح يكشف ستر الله عنه، يا فلان فعلت كذا وكذا، فيستره ربه ويكشف ستر الله عنه، ومعنى هذا الحديث أن من لم يجاهر أنه معافى إن شاء الله ، وأنّ مصيره إلى أن يُقلع وأن يتوب وإلى أن يستره الله كما ستر نفسه، كما ستر يستره الله كما استتر بذنبه، ففي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال " إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيْ رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ : { هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } ". البخاري [2441] استتر فستره الله وغفرها الله له عز وجل له، أما المجاهر فإن المجاهرة تدل على استخفاف بالذنب، وعلى استخفاف بحق الله جل وعلا ورسوله، وعلى استخفاف بالصالحين لأهل العلم، استخفاف بما يزجرون عنه وينهون، ويبينون الأدلة على تحريمه، فاستخفاف بذلك كله. ولهذا كان المستخف غير معافى، المجاهر غير معافى، إنّ المجاهرة قد تتضمن استباحة للذنب، واستحلالا له، فمن كانت مجاهرة كذلك فهذه المجاهرة كفر، في هذا الحال، المجاهرة بالمعاصي تدل على قلة الحياء، فإذا انتزع من الناس الحياء انتزع إيمانه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " الحياءُ و الإيمانُ قُرِنا جميعًا ، فإذا رُفِعَ أحدُهما رُفِعَ الآخَرُ" أخرجه الحاكم (58)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (7331)

قال عليه الصلاة " الحياء خير كله" وقال صلى الله عليه وسلم : " لا يأتي الحياء إلا بالخير" الحياء لا يأتي إلا بخير، وقال عليه الصلاة والسلام :" إن الحياء من الإيمان " فالمجاهرة بالمعاصي من الرجال أو النساء، أيًا كان تدل على قلة الحياء، أو على عدمه، قد يقل الحياء وقد ينعدم عند بعض الناس، حتى يجاهر بالحياء فيفضح نفسه، ويُعرض نفسه إلى شماتة الناس، ويُعرض نفسه إلى عدم التقدير والاحترام من المسلمين، ويُعرض نفسه إلى البغضاء فيبغضونه على ما يجاهر به، ويعرض نفسه إلى عدم الصيانة، هذا كله تدل على قلة الحياء؛ أنه ما يصون نفسه ولا عرضه، ويُحرم أخوة المؤمنين ومحبة المؤمنين له، إن المجاهرة بالذنب تدل على إشاعة الفاحشة، فهو يشيعها، يجاهر بها، ويذيعها ونشرها، يتبجح بها، ويفتخر بها، هذه إشاعة للفاحشة سواء أشعتها منك أنت أو أنشأتها عن غيرك، ورغبت أن تُشاع من غيرك وأن يفتضح غيرك أو تفضح نفسك، هذه إشاعة للفاحشة، وقد قال ربنا سبحانه : { إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَـٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ } [سُورَةُ النُّورِ: ١٩] توعدهم بالعذاب الأليم، الذي يُحب أن تشاع الفواحش وتنتشر، تنتشر الفواحش، إن المجاهرة بالمعصية تعتبر دعوة، فالدعوة تكون بالحال والمقال، فالذي يتبجح بالمعاصي ويجاهر بها معناه يدعو غيره من الفساق إلى تلك المعاصي، يرغبهم فيها ويدعوهم إليها، فلما كانت بهذه المثابة المجاهرة بالمعاصي صاحبها لا يُعافى، معرض إلى أنه لا تناله عافية في الدين، وأنه مُعرض ربما إلى الردة والزندقة إلا أن يتداركه الله برحمة، فإن العافية في الدين أعظم ما يناله الإنسان في هذه الحياة، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهم اهدني فيمن هديت" علم الحسن هذا الدعاء، وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت، وقال سلوا الله المعافاة، اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، ... الحديث، أعظم ما تُعطاه من هذه العافية في دينك يُعافى دينُك، المجاهر ما هو مُعافى، مجاهرة بالمعاصي نراها رأي العين الآن،

مجاهرة بالسفور، مُجاهرة بالتبرج، مُجاهرة بالخمور في المطارات، مجاهرة بخروج المرأة فيما ليس من حدها وطورها، مجاهرة بالربا، مجاهرة بالزنا، مجهارة بالفساد، مجاهرة بالكذب، بالغيبة، بالنميمة، مجاهرة بسوء الجوار، مجاهرة هكذا، لا تكاد تجد ذنبا من الذنوب إلا والمجاهرة بالذنب داخلة فيه، وفي أزمنتنا هذه على أكمل وعلى أشد طورها، هذا يُخشى والله منه، إن حصول الآيات، بعض الناس تأثر بالكفار إذا حصلت آية من آيات الله في بعض البلدان يحصل الزلزال هم يضحكون، يعتبرونها حالة طبيعية، وهكذا إذا حصل الكسوف أيضا ما يبالون يعتبرونها حادثة فلكية، هكذا يسمِّجون المسألة، يا أخي هذه آية من آيات الله يخوف الله بها عبادة كما قال رب العالمين : { ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ } [سُورَةُ الزُّمَرِ: ١٦] قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته.

البخاري [1041] قال إنما يخوف الله بها عبادة هكذا الآيات تخويف، قال تعالى : { وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا } [سُورَةُ الإِسۡرَاءِ: ٥٩] هذه آية من آيات الله، من تقليد الكفار أنه لا يبالي بمثل هذه، رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حصل كسوف الشمس ما كسفت في زمنه إلا مرة واحدة، خرج يجر رداءه، خرج مستعجلا، آية! عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما تزلزلت حصلت زلزلة في الأرض زلزلة، خطب الناس، قال : لئن حصلت زلزلة مرة أخرى لأخرجن من بين أظهركم، معناه أنكم أحدثتم، أنّ هذه الزلزلة ما حصلت إلا لحادث، لذنوب، أما في أزمنتنا هذه يذيعون في الإذاعات بعض الأوقات وكذلك أيضا في المنشورات في الجوالات وما إلى ذلك ربما في الأسبوع أكثر من زلزلة، زلزلة في بلد كذا، زلزال في بلد كذا، زلزال في بلد كذا، ولا اعتبار، قال تعالى :{ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ } [سُورَةُ يُونُسَ: ١٠١] ما تغنيك، كثير من الناس ما يبالون بها، هذه من المجاهرة،

يا عباد الله : إن المجاهرة خطيرة جدا، نرى المجاهرة بالذنوب منذرة

بخطر، ومؤذنة بضرر. فقد ثبت من حديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ حَتّى يُعْلِنُوا بِهَا - أي يجاهرون، معناه إذا خلاص فاحشة معلنة، عندهم إعلان، جاهروا باللواط الآن يعقدون المحاكم الرجل على الرجل، وماذا تريد بعد هذه المجاهرة عياذا بالله؟ جاهروا باللواط الآن يسكنونهم في أضخم الفنادق ويحترمونهم ويقدرونهم ومن لا يقدرهم يعتبرونه متخلفا، تهرب أشياء من هذه، هذا حده أن يُقتل بالإجماع اللوطي المجاهر الذي عرفت لوطيته، حده أن يُقتل بالإجماع، إنما اختلف الفقهاء بكيفية قتله، منهم من يقول يرمى من شاهق حتى يموت ومنهم من يقول يرجم بالحجارة، أما القتل فمتفق عليه عند أهل العلم، المرأة المحصنة إذا زنت وهي محصنة فإنها ترجم حتى تموت وهذا أسوأ حالا وأخبث، هذا أسوأ حالا، أجمع الصحابة على هذا، أجمعوا على أنّ اللوطي يُقتل، ومع ذلك هذه المجاهرة دون نكير، نسأل الله عافيته، وهكذا مجاهرة حتى بأذيّة الدين، مجاهرة بأذية المؤمنين، مجاهرة بعداء الصالحين وغير ذلك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ حَتّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلّا فَشَا فِيهِمُ الطّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلّا أُخِذُوا بِالسّنِينَ وَشِدّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلّا سَلّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيّرُوا مِمّا أَنْزَلَ اللهُ إِلّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ". رواه ابن ماجه [4019] كل هذا المجاهرة حاصلة وعواقبها حاصلة عليهم، مرتبة عليها جاهزة يراها الناس رأي العين، الناس يرونها رأي العين، المجاهرة خطيرة، وهذا إذا خرجت

المرأة مستعطرة مجاهرة بريح الطيب فقط.، قال في حديث أبي موسى عند أحمد فهي زانية، لماذا؟

لها أن تصب على نفسها الطيب كيف هي في بيتها؛ لكن في الشارع ويشم الرجال ريحها هذه مجاهرة، فلما كانت بهذه المجاهرة وتحصل منها الفتنة دائما دعوة، المجاهرة دعوة، دعوة إلى الفساد وإلى الشر، فتطيبها وخروجها في الشارع يجد الناس ريحها هذه دعوة للفساد والنظر إليها،

دعوة إلى وسيلة شريرة من الفتنة، فلما كانت المجاهرة بهذا الحال كان صاحبها غير معافى غير معافى كان داعيا إلى الشر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما حديث جرير رضي الله عنه من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر ما عمل بها إلى يوم القيامة، وفي الحديث الآخر من دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها وأوزار من تبعه إلى يوم القيامة، فمن جاهر بمنكر وتبعه الناس بلسان حاله ثم قال جهر به حتى اغتر به الناس في ذلك يحمل من أوزاره قال عليه الصلاة والسلام كان في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل، يحمل من جميع أوزار القتلة إلى قيام الساعة، وهكذا قال عليه الصلاة والسلام في عمرو بن لحي بن خندف أنه أول من سيب السوائب لقد رأيت ابن لحي يجر قصبه في النار لانه اول من سيب السوائب، أي في الجزيرة، سن هذه السنة السيئة وجاهر بها في جزيرة العرب وما كانت في جزيرة العرب فيها السبايا، ما يسيبون الإبل، هذي سائبة وهذه بحيرة وهذه وصيلة وهذه لما عندهم، عندهم شركيات لكن هذه أتى بها عمرو بن لحي بن خندف، أتى بها من عند المشركين عند اليهود عند النصارى عند الكفار من جهة بلاد الشام فنشرها فصار يحمل أوزارهم ويجر قصبه في النار لأنه أول من سيب السوائب هذا موضوع مهم نرى أضراره وأخطاره، نسأل الله العافية، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وإلى

الصلاة.

فرغها ✍ أبو المجد بن محمد